رأي القدس

# حل السلطة بات فرضا واجباً

■ تساءل السيد اسماعيل هنية يوم امس عن مدى جدوى استمرار السلطة الوطنية الفلسطينية التي يرأس وزارتها، ولكنه في الوقت نفسه لم ينطق بالكلمة السحرية التي ينتظرها الكثيرون في فلسطين المحتلة وخارجها بالاعلان عن حل هذه السلطة وحل مجلس وزرائها وكل المؤسسات الاخرى المنبثقة عنها، وخاصة المجلس التشريعي الفلسطيني، فعمليا لا يوجد شيء اسمه السلطة الوطنية على الارض بعد العدوان الاسرائيلي المتكرر على مدن الضفة والقطاع ومسلسل الاغتيالات الشرس الذي يستهدف رموز المقاومة، وكاد ان ينجح في القضاء على رئيس الحكومة الفلسطينية نفسه، مضافا الى ذلك ان اجهزة السلطة باتت في حال كامل من الشلل، فالموظفون لا يذهبون الى مقار اعمالهم لانه لم يقبضوا رواتبهم منذ ستة أشهر على الأقل، ومعظم الوزراء باتوا حاليا خلف القضبان في السجون الاسرائيلية، والخزائن فارغة تماما بعد توقف المساعدات الخارجية.

فالأب الشرعي لهذه السلطة، وهي الولايات المتحدة والدول المانحة الاوروبية الاخرى، توقفت عن دعم هذه السلطة ماديا ومعنويا، منذ ان قال الشعب الفلسطيني كلمته، واسقط حكومة الفساد وغيّر وجه المجلس التشريعي وأوصل حكومة جديدة شكلتها حركة حماس بعد انتخابات ديمقراطية حرة ونزيهة.

حتى الاطار السياسي الذي انطلقت منه هذه السلطة، وهي اتفاقات أوسلو، لم يعد موجودا، بما في ذلك خريطة الطريق التي حلت محلها، وتكفي الاشارة الى اعلان السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي نعى فيه العملية السلمية برمتها في ختام اعمال مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي انعقد بشكل طارئ بالقاهرة قبل اسبوعين لبحث الأزمة اللبنانية.

ان اعتقال اسرائيل لعشرة وزراء وخمسة وعشرين نائبا منتخبا، واخيرا السيد عزيز الدويك رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني، كل هذه ثوابت اساسية تؤكد ان السلطة الفلسطينية اصبحت مثل كيان مجوف فارغ من اي مضمون، ولا توجد عمليا الا في اذهان بقايا مهندسي اتفاقات اوسلو.

كنا ومازلنا نتمنى لو ان الرئيس الفلسطيني محمود عباس قد عقد اجتماعا طارئا لكل رموز العمل السياسي الفلسطيني في الحكومة والمعارضة، تماما عندما فعل ذلك للتحاور حول وثيقة الاسرى، وصارح الجميع بان المسرحية انتهت واعلن حل هذه السلطة كليا واعادة الامور الى ما كانت عليه قبلها، اي مقاومة صريحة لمواجهة احتلال ظالم وقاتل، ولكننا على ثقة وبحكم معرفتنا بالرجل وقياسا على مواقف سابقة انه لن يقدم على هذه الخطوة.

ان ما يفعله المقاومون المجاهدون في جنوب لبنان من تغيير المعادلات السياسية على الأرض وتحقيق معجزة الصمود في مواجهة آلة عسكرية جبارة يجب ان يعطي درسا للفلسطينيين، حكومة ومعارضة من انصار اوسلو او من معارضيها، مفاده ان لا بديل عن المقاومة لتحرير الارض والتعامل مع هؤلاء الذين لا يحترمون سلاما ولا يتورعون عن قتل الاطفال وتدمير بيوتهم فوق اصحابها.

الشعب الفلسطيني كان دائما سباقا في المقاومة وفي التضحيات وقدم العديد من الأمثلة في الصمود، ولكن مشكلة هذا الشعب انه يفتقر الى القيادة التي ترتقي الى مستوى تضحياته وصموده.

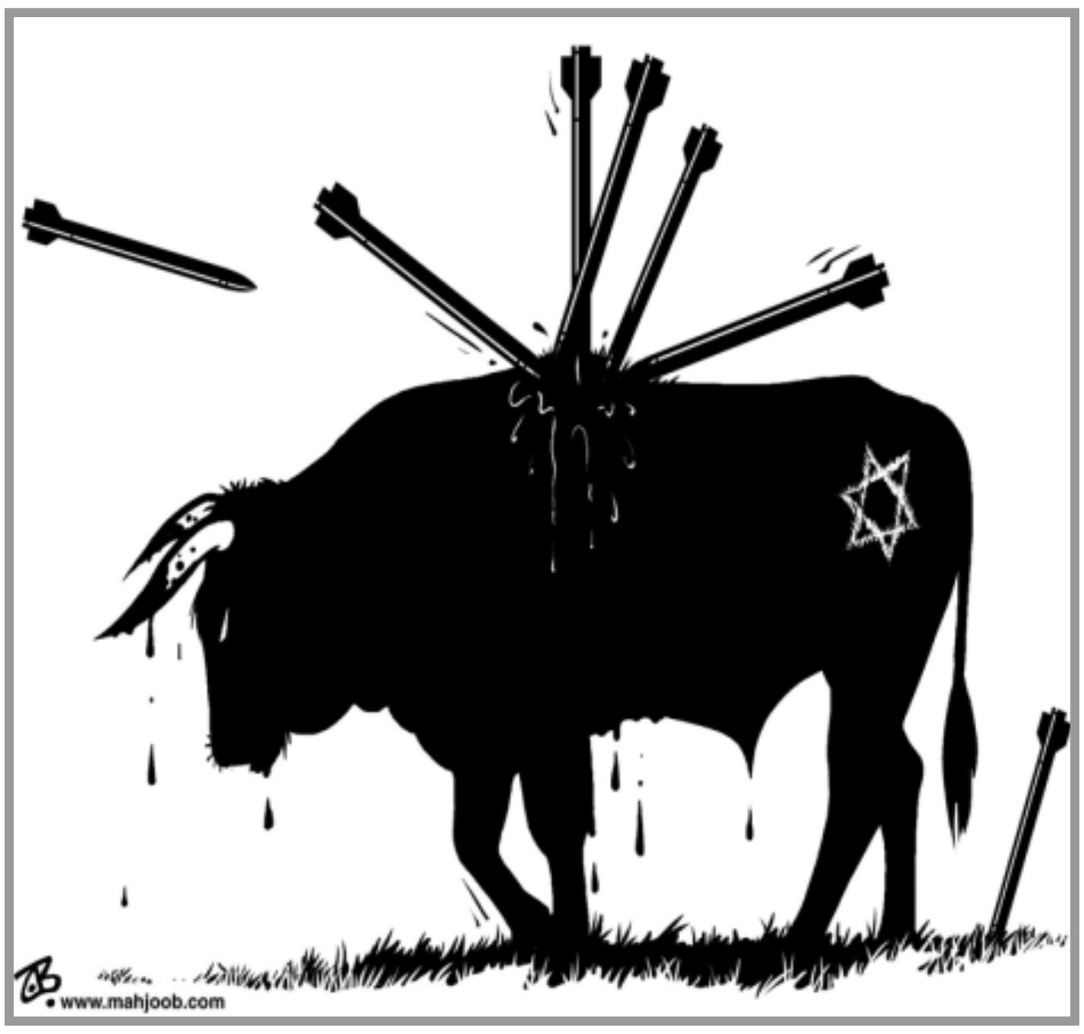


# حرب لا نهاية قريبة لها تغير لبنان والمشرق كله

د. بشير موسى نافع *

■ في نهاية الإسبوع الرابع من الحرب الإسرائيلية على لبنان يبدو ان الحرب ستستمر لفترة أطول بكثير مما كان يتوقعها أي من أطرافها المباشرة أو غير المباشرة. السبب الرئيسي وراء حالة عدم الحسم هذه ان الطرف الامريكي ـ الإسرائيلي لا يرد على عملية حزب الله، بل يحاول صنع انقلاب استراتيجي واسع النطاق في المشرق العربي ـ الإسرائيلي، بقوة وبطش السلاح. ولكن الحرب لم تنجح حتى الآن إلا في تدمير لبنان، بشراً ومسكناً واقتصاداً. فشلت الحرب في إيقاع خسائر ملموسة في جناح حزب الله المسلح؛ فشلت في تدمير قدرات حزب الله على إطلاق الصواريخ على شمال الدولة العبرية؛ وفشلت في خلق حالة من الصراع السياسي داخل لبنان. وفي المقابل، أشعل حزب الله النار في مختلف مناطق شمال فلسطين المحتلة، أصاب الجيش الإسرائيلي بخسائر بشرية ملموسة، وجعل تقدم القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان تقدماً بطيئاً وباهظاً. من جهة أخرى، ما يزال الرأي العام الإسرائيلي موحداً حول الحرب الوحشية التي تشنها حكومته. هذه الحرب مرشحة للاستمرار، لمجموعة من الأسباب، بعضها يتعلق برؤية الدولة العبرية لذاتها وبعضها يتعلق بالأزمة الامريكية الاستراتيجية في المشرق العربي ـ الإسلامي وفي العالم ككل، والبعض الآخر يتعلق بثقة القوى الشعبية العربية والإسلامية بنفسها.

ظن كثير ممن سمعوا أو قرأوا الخطاب الذي ألقاه رئيس الوزراء البريطاني في مدينة سان فرانسيسكو ان توني بلير بات أسير علاقته الخاصة بإدارة بوش، وانه يلجأ إلى أي وسيلة ممكنة لتبرير هذه العلاقة غير القابلة للتبرير. ولكن الحقيقة ان بلير كان يعبر عن أزمة التحالف الأنكلو ـ امريكي، الأزمة التي تشعبت خلال السنوات القليلة الماضية لتصبح أثقل وطأة وأكثر تعقيداً. التحالف الأنكلو ـ امريكي هو تحالف حقيقي وموضوعي ولا يلعب الأشخاص أو الأحزاب الحاكمة إلا دوراً ثانوياً في مجرياته، وهو تحالف اختارته المؤسسة البريطانية الحاكمة بكل دوائرها الفاعلة منذ عقود. هذا التحالف هو الذي قدم الغطاء السياسي الدولي لقيام الدولة العبرية بإعادة احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو الذي انتهى إلى تسليم عملية السلام على المسار الفلسطيني ـ الإسرائيلي إلى الدولة العبرية. وهذا التحالف هو الذي قام بغزو العراق واحتلاله في مواجهة معارضة عالمية للحرب. وليس هناك من شك في ان غزو العراق واحتلاله كان مشروعاً كبيراً، أريد منه تحويل العراق إلى منطلق لتغيير وجه المنطقة العربية وتقويض النظام في إيران. ولكن بدلاً من أن يصبح العراق رافعة استراتيجية إذا به يتحول إلى أزمة مستحكمة. خلال السنوات الأولى من الاحتلال، أوقعت المقاومة العراقية إصابات بالغة بمشروع العراق الجديد وبأهداف إعادة رسم ملامح المنطقة. ثم جاءت الانقسامات والاشتباكات الطائفية، التي ولدت من رحم السياسة الامريكية في العراق، لتدفع الوضع الأنكلو ـ امريكي الاستراتيجي إلى مزيد من التأزم. بات واضحاً منذ فشل إقرار الدستور وإجراء الانتخابات البرلمانية العراقية ان الولايات المتحدة لن تنتصر، وان عليها ان تحقق انجازاً استراتيجياً كبيراً في المنطقة أو ان تسحب قواتها من العراق قبل ان تتكبد المزيد من الخسائر او تغرق في أمواج التدافع الطائفي.

بيد ان الأزمة لم تقتصر على العراق؛ فقد ازداد تفاقم الملف النووي الإيراني منذ أعلنت طهران عن تشغيل مئات وحدات الفصل المركزي الخاصة بتخصيب اليورانيوم. ليس ثمة من دليل بعد على ان الإيرانيين يستطيعون تخصيب اليورانيوم إلى الدرجة والكمية الضرورية لصناعة السلاح النووي، ولكن اكتساب الإيرانيين المعرفة التقنية النووية لم يعد أمراً يمكن الجدال فيه. المهم، انه في حين تظهر طهران تصميماً واضحاً على الاستمرار في تخصيب اليورانيوم لأهداف سلمية، وهو ما تقره المعاهدات الدولية، فإن الولايات المتحدة والمجموعة الأوروبية لم تجد في يدها وسائل ضغط استراتيجية كافية لدفع إيران إلى إيقاف عمليات التخصيب. ثم جاء انتصار حماس الانتخابي في الضفة والقطاع ليكمل دائرة الأزمة. الامريكيون والأوروبيون هم الذين دعوا إلى عقد الانتخابات، وهم الذين وضعوا المنطقة العربية ككل في أجواء التحول الديمقراطي. وما ان عقدت الانتخابات حتى فاز الإسلاميون فوزاً كاسحاً. ولم يكن فوز حماس الانتخابي هو وحده ما بدا وكأنه صفعة في وجه السياسات الأنكلو ـ امريكية، بل كذلك كانت نتائج الانتخابات البرلمانية المصرية. يضاف إلى هذا كله الانهيار الأمني الواسع في أفغانستان، وعودة طالبان بقدرات عسكرية لم تكن في الحسبان، حتى بدا ان الوضع الذي عاشه الاحتلال السوفياتي لأفغانستان يتكرر من جديد لقوى حلف الأطلسي. والمشكلة الأكبر ان هذا التأزم الاستراتيجي يشجع قوى منافسة، كروسيا مثلاً، على ان تمد يدها باتجاه القوى المناهضة للتواجد الامريكي والغربي في البلدان العربية والإسلامية.

عندما يتحدث بلير عن قوس التطرف والراديكالية في المنطقة فهو يعني ما يقول. وعندما يتحدث الرئيس بوش عن الحرب على الإرهاب فهو لا يرتكب خطأ الخلط بين القاعدة وحزب الله. كلاهما يعتقد ان الحرب على لبنان جزء من الحرب المتصلة منذ خمس سنوات في العالم الإسلامي. ترى لندن وواشنطن ان السياسة الغربية في الشرق الاوسط، وربما في العالم ككل، باتت مهددة بالصعود الحثيث لقوى معادية ليس من السهل ترويضها بالتهديد أو في قاعات التفاوض. وليست السياسة الأنكلو ـ امريكية وحسب هي من يستشعر التأزم والتراجع، بل كذلك الدولة العبرية التي تعيش منذ عام 2000 على الأقل شعوراً متزايداً بانحطاط القوة وفقدان القدرة على الردع. هذه الرؤية الإسرائيلية للذات هي التي جعلت الرد الإسرائيلي على الانتفاضة الفلسطينية الثانية اكثر عنفاً وشراسة ودموية من الرد على الانتفاضة الأولى. ولم تكن الانتفاضة الثانية حادثاً معزولاً، فقد جاءت بعد انسحاب إسرائيلي غير المشروط والمهين من جنوب لبنان. بالرغم من معاهدتي سلام مع مصر والأردن، كانت السياسات الإسرائيلية قصيرة النظر توحد الفلسطينيين جميعهم، بما في ذلك من وقعوا اتفاق أوسلو، وتشعل غضب المنطقة العربية والإسلامية بأسرها، وتجعل من حزب الله القوة الرئيسية في لبنان، عسكرياً وسياسياً. لا الضربات الإسرائيلية البشعة للفلسطينيين، لا إعادة احتلال القطاع والضفة، ولا حتى الانسحاب الأحادي من قطاع غزة، أخرجت الدولة العبرية من مأزق تراجع القوة وفقدان القدرة على الردع. ومنذ عام على الأقل، أخذت أزمة السياسة الأنكلو ـ امريكية وأزمة الوضع الإسرائيلي في التماهي؛ فاحتلال العراق كان في أحد وجوهه الهامة خدمة للوضع الإسرائيلي، والقدرة النووية الإيرانية تشكل خطراً استراتيجياً بعيد المدى على الدولة العبرية، والمقاومتان الفلسطينية واللبنانية هما في حالة تماس يومي مع الاحتلال، والصعود الانتخابي للتيار الإسلامي في المنطقة هو صعود لقوى معادية للسياسة الأنكلو ـ امريكية والإسرائيلية على السواء. ثم جاءت عمليتا حماس وحزب الله لتحملا دلالة رمزية (لم تخطئها شعوب المنطقة ولا قادة الدولة العبرية) على الإحساس المتصاعد بالثقة لدى شعوب المنطقة وحالة التراجع الملموسة لقوى الاحتلال والدولة العبرية.

هذه الحرب إذن ذات دوافع ودلالات استراتيجية بالغة لكل أطرافها: للإسرائيليين، للندن وواشنطن، لحزب الله والمقاومة الفلسطينية، لإيران، للوضع العراقي، ولمستقبل المنطقة ككل. وفي هذه الحرب خسر الطرفان الغموض الاستراتيجي الرادع على نحو ما؛ فالإسرائيليون الذين كانوا يخشون صواريخ حزب الله يعيشون الآن في ظل دويها المستمر، والمقاومة اللبنانية التي كانت تخشى دائماً دماراً جديداً يصيب البلاد جميعها يعيشون الآن في ظل هذا الدمار. ولذا، فليس هناك بعد من يجرؤ على إيقاف الحرب، لاسيما في الجانب الإسرائيلي الامريكي. الاعتراف بفشل الحرب هو اعتراف بهزيمة الدولة العبرية والسياسة الأنكلو ـ امريكية في المنطقة، وهو ما سيكون له عواقب فادحة على مجمل المناخ الاستراتيجي في المشرق العربي ـ الإسلامي؛ عواقب ستنعكس على فلسطين، على العراق، على الملف النووي الإيراني، وعلى الدور السوري. مثل هذه العواقب لا تبدو لا تل أبيب ولا واشنطن ولا لندن على استعداد لتقبلها في هذه المرحلة؛ بل ولا حتى فرنسا التي تحاول عبثاً وضع مسافة بين موقفها والموقف الأنكلو ـ امريكي. ومن هنا جاء مشروع قرار مجلس الأمن، المتفق عليه امريكياً وفرنسياً، قراراً يصب بالكامل في مصلحة الطرف الإسرائيلي واستجابة لمتطلبات الدولة العبرية العسكرية والسياسية. لا القرار سيوقف الحرب، ولا هو مصمم أصلاً لوقف الحرب. إضافة إلى ان حزب الله لا يستطيع القبول بوقف القتال بينما القوات الإسرائيلية تتمركز في مناطق عدة من الأرض اللبنانية وعجلة العملية السياسية الدولية تتحرك نحو نزع سلاحه وإخراجه من الجنوب ومعاقبته على صموده الكبير في وجه الآلة العسكرية الإسرائيلية. وسيكون بحث مسألة القوات الدولية أكثر تعقيداً ومثارة للخلاف، خاصة ان سعت الإدارة الامريكية إلى تحويل هذه القوات إلى رادع لحزب الله لا للعدوان. هذه الحرب، بكلمة أخرى، مرشحة للاستمرار، ربما بوتيرة مختلفة عن وتيرتها الحالية.

بيد ان استمرار الحرب يعني بالضرورة ان لبنان قد تحول من جديد إلى ساحة لتصفية الحسابات الاستراتيجية للدولة العبرية والسياسية الامريكية. الاعتقاد بأن ما أوقعته الحرب بلبنان كدولة ووطن واجتماع سياسي سيكون مقصوراً على التهجير ودمار الجسور والطرق والمصانع والقرى الجنوبية وبعض من أحياء المدن هو اعتقاد خاطئ. كما ان مضي بعض القوى السياسية اللبنانية في استخدام اللغة نفسها التي كانت تستخدمها منذ اغتيال الرئيس الحريري، من قبيل التخلص من النفوذ السوري ـ الإيراني ونزع سلاح حزب الله وبسط سيطرة الدولة على الجنوب، هو دليل على ان هذه القوى تعيش في عالم آخر. هذه حرب كبرى، لا تقل في حجمها ومستوى أهدافها ودوافعها عن حرب حزيران (يونيو) 1967. وكما ان الدولة العبرية وحلفاءها لم يصلوا بعد إلى الاقتناع بفشل الحرب والعجز عن تحقيق أهدافها، فإن حزب الله وحلفاءه ليسوا بصدد إعلان الاستسلام السياسي بعد النجاحات الكبيرة للحزب في المواجهة العسكرية.

وكلما طال أمد الحرب كلما فتحت مجرياتها على كل الاحتمالات، من توسع نطاق دائرتها الجغرافية إلى دخول أطراف لم تكن في الحسبان إلى ساحتها. بدأت الحرب باتفاق ضمني (ضم دولاً عربية على الأرجح) على ان تقتصر على الساحة اللبنانية، ولكن استمرارها لفترة تطول عن كل حسبان قد يدخل سورية وإيران إلى نطاقها. وبدأت الحرب وحزب الله يتحمل العبء الأكبر في الدفاع عن لبنان، ولكن استمرارها يعني ان قطاعات من الجيش اللبناني، بأوامر رسمية أو بغير أوامر، ستدخل ساحة الحرب. كما ان متطوعين وقوى سنية مسلحة، من داخل لبنان ومن خارجه، سيندفعون باتجاه الحرب، سواء برضى وقبول من حزب الله أو بعدم رضى وقبول منه. وقد يعود لبنان، وإن بدرجة أكثر دموية وشراسة، إلى ما كان عليه في السبعينات. بعض من رجال الإدارة الامريكية ومن هم حولها يؤمن إيماناً قاطعاً بأن العالم يمضي حثيثاً نحو أرماغادون، معركة كبرى بين الخير والشر، تدور رحاها في فلسطين وجوارها، يلد من لاحمها عالم جديد. وربما هم الآن على وشك ان ينالوا أرمغادونهم تلك.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

# صواريخ حزب الله مرحلة جديدة في المواجهة مع اسرائيل

د. يوسف نور عوض *

■ تستوقفني في إطار المشهد اللبناني من خلال الحرب السادسة التي يخوضها لبنان منفردا عدة ملاحظات، الأولى هي مسارعة الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان بإعطاء مقابلة صحافية لتلفزيون الجزيرة وهو نادرا ما يخص تلفزيونا بمقابلة كهذه، ولم يكن الهدف من ظهوره بالطبع وضع صورة حقيقية لما يجري بعد أحداث لبنان بل كان تحسين صورته في منطقة الشرق الأوسط بعد ان تدنت شعبيته إلى درجة كبيرة وتوصل الناس إلى انه لم يكن جديرا بالمنصب الذي تولاه بسبب عدم اهتمامه بالرأي العام الدولي وتوجهه نحو تنفيذ سياسات الولايات المتحدة بشكل كامل، وقد حاول الأمين العام في هذه المقابلة أن يقول إنه طالب بوقف إطلاق النار ورفض قتل الأبرياء ولكنه بالطبع لم يجرؤ على إدانة اسرائيل أو القول إنه كان قادرا على معارضة موقف الولايات المتحدة في مجلس الأمن وقد حاول أن يصور نفسه وكأنه لا سلطة له حين يتعلق الأمر باتخاذ القرارات في مجلس الأمن وربما كان ذلك صحيحا ولكن كان دائما بإمكان الأمين العام للأمم المتحدة أن يعبر عن رأي المجتمع الدولي الذي يسمعه من خلال تصريحات تضع لها الدول الكبرى ألف حساب، ولو كان الأمين العام في دورته الأولى لقلنا إنه يتصرف بدبلوماسية ولكن سلوكه هذا يأتي في دورته الثانية ما يؤكد انه لا يقوم بواجبه الدولي كما يجب ولا يرقى إلى هامة «داغ همرشولد» الذي دفع حياته ثمنا لمبادئه.

الملاحظة الثانية هي التصريحات التي أدلى بها وزير الخارجية السوري وليد المعلم التي قال فيها إن سورية مستعدة لخوض حرب إقليمية وهو قول يذ كرنا بتصريحات سورية السابقة بعد الاعتداءات الإسرائيلية بانها ستحدد موعد ومكان الرد وهو وعد لم يتحقق أبدا. ولا شك أن ما هدف إليه وليد المعلم هو استثمار انتصارات حزب الله في لبنان لصالح سورية التي تريد أن تظهر وكأنها قادرة على اتخاذ موقف يشبه موقف حزب الله وقادرة على أن تحقق النتائج ذاتها وهي بكل تأكيد قادرة لو توافرت العزيمة ولكن أنظمة الحكم الشمولية في العالم العربي قلما تفكر في مصالح شعوبها فهي مشغولة بهدف واحد هو مصلحة النظام.

والملاحظة الثالثة هي التصريح السعودي الداعي إلى عقد قمة عربية لتدارس الوضع في لبنان وهي دعوة تأتي قبيل انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب، وكان الغرض من هذه الدعوة صرف النظر عن أي قرار يتخذه مؤتمر القمة العربي وتعليق الآمال على قمة عربية قادمة، ويعلم الجميع ان القمم العربية توقفت منذ زمن طويل عن اتخاذ القرارات الحاسمة.

وأما الملاحظة الرابعة فهي عقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بيروت وهو مؤتمر يعقد بعد شهر من حرب شنت على قطر عربي عضو في جامعة الدول العربية ولم يتم القرار بعقده إلا بعد أن خابت كل التوقعات بهزيمة حزب الله في الأيام الأولى من المعركة ولكن حزب الله صمد وعرى النظام العربي بأسره وهنا شعرت الدول العربية بالحرج وتحركت لعقد المؤتمر في العاصمة اللبنانية وكان حريا بحكومة لبنان أن ترفض عقد المؤتمر لعلمها أن وزراء الخارجية العرب لن يفعلوا شيئا إيجابيا ولن يقدموا لها أي دعم ولن تتخذ أي قرارات فيها مصلحة حقيقية للبنان وهناك دلائل سابقة على ذلك عندما أحال مؤتمر سابق القضية إلى مجلس الأمن المتآمر ضد الأمة العربية وها هم يتصرفون في هذه المرة بسذاجة عجيبة عندما قرروا إرسال وفد إلى نيويورك للتأثير على صيغة القرار الذي سيجيزه مجلس الامن بلغة تفسر في نهاية الأمر لصالح اسرائيل. وكان حريا بالدول العربية أن تدرك أن مطلبها لن يتحقق بكون النقاط السبع التي وضعها لبنان تتعارض مع جوهر مشروع القرار الفرنسي ـ الأمريكي الذي يريد أن يحقق لاسرائيل من خلال الدبلوماسة ما عجزت عن تحقيقه من خلال الحرب. ولا يخدع أحد بان فرنسا تقف مؤيدة الموقف اللبناني لأن هذه حيلة تمارسها فرنسا منذ زمن طويل فهي دائما تنفرد بموقف معارض للولايات المتحدة وعندما تأتي لحظة الحسم يكون موقفها متطابقا مع موقف الولايات المتحدة.

وبعيدا عن ملاحظاتنا السابقة فنحن نرى ما جرى في لبنان نقطة تحول اساسية في منطقة الشرق الأوسط لأن الهزيمة بالنسبة للجيش الإسرائيلي تشبه إلى حد كبير هزيمة الجيوش العربية في عام 1967، فبعد تلك الحرب رفعت الحكومات العربية كلها الراية البيضاء وصالت اسرائيل وجالت ورفضت كل مبادرات السلام وتذرعت بعدم وجود الشريك الملائم لها. ويمكننا أن نقرأ السياسات الإسرائيلية كلها بعد عام 67 من منظور الهزيمة ولا يعني ذلك أن تقديرات الدول العربية كانت تقوم على أنها لن تكون قادرة على هزيمة اسرائيل بل كان الاستسلام العربي جزءا من استراتيجية سياسية واسعة اتبعتها الدول العربية وقدمتها عربون صداقة مع اليمين المتطرف في الولايات المتحدة من أجل استمرارية الأنظمة بوضعها الراهن ولم يدرك الكثيرون في هذه الحكومات أنهم كانوا يتعاملون مع إدارة جاهلة وتفتقر إلى الرؤية الاستراتيجية ولا تفكر إلا من خلال المنافع العاجلة ذلك أن حرب أفغانستان ومن بعدها حرب العراق لم تكونا من أجل تأمين الولايات المتحدة كما ادعت إدارتها او من أجل القضاء على الإرهاب بل كان الهدف الأمريكي مركزا على تحقيق المنافع المالية لأفراد وأسر اليمين المتطرف من خلال السيطرة على ثروات ومقدرات البلاد الأجنبية حتى يستمروا في حكم الولايات المتحدة والسيطرة عليها. ولا نستطيع أن نقرأ الوضع في العراق إلا من خلال هذا المنظور، وما بقاء الولايات المتحدة في العراق إلا من أجل تحويل ثرواتها إلى خزائن أسر اليمين المتطرف وهي بذلك تدعم وضعها السياسي في داخل الولايات المتحدة كما تدعم وضع اسرائيل التي تحقق لليمين المتطرف نفس الهدف من خلال قهر الأمة العربية.

ولكن كما يقولون تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ذلك أن الألعاب الخطرة لها محظوراتها وقد ظهر ذلك في حرب لبنان بشكل واضح جدا، فقد كشفت هذه الحرب أن الولايات المتحدة ظلت تتعامل مع أحداث الشرق الأوسط بدرجة كبيرة من الغباء فبعد أن أنهت موضوع العراق واسقطت نظام صدام حسين ظنت أنها قادرة على المضي في الطريق نفسه وتكرار اللعبة مع سورية وإيران وقد اعتمدت الولايات المتحدة في ذلك على خبرة محدودة وهي أن التنازلات العربية لا تقف عند حد ولكن حزب الله فاجأ الولايات المتحدة واسرائيل باستراتيجية جديدة لم تخطر لهما على بال وستكون لها آثار مستقبلية واسعة النطاق فقد أثبت حزب الله عبثية فكرة الجدار العازل في فلسطين كما أثبت أن مواقف الدول والعربية المتراجعة منذ عام 1967 ليس لها ما يبررها لأن اسرائيل ليست بالقوة التي لا تقهر وإذا كان لبنان قد صمد وحقق هذا الإنجاز الكبير فإن الأمة العربية لن تكون عاجزة في مواجهة اسرائيل إذا توافرت لها الإرادة. وذلك ما سيجعل اسرائيل تعيد النظر ألف مرة في الاستراتيجية التي اتبعتها والتي افترضت ضعفا مستمرا للأمة العربية وسيجعلها ذلك تعيد النظر أيضا قبل أن تفكر في جعل الأردن وطنا للفلسطينيين لأنها في تلك الحال لن تكون قادرة على مواجهة صواريخ الفلسطينيين بل لن تكون قادرة على مواجهة صواريخ الأمة العربية كلها التي ستكون أرخص ثمنا من طائرات الفانتوم والأواكس. وهذه بكل تأكيد مرحلة قادمة ليس لأن الحكومات العربية تبحث عن بديل بل لأن هذه استراتيجية شعبية ستطبقها الشعوب العربية رغما عن إرادة حكوماتها.

لقد بدأنا الآن نسمع بعض الساسة التقليديين يقولون إن وسائل الإعلام تحاول تضخيم انتصارات حزب الله وهؤلاء في الحقيقة يخشون تغيير الأوضاع التي ستقضي على امتيازاتهم وهي أوضاع ستتغير لا محالة.

وفي تقديري فإن اسرائيل اضاعت الفرصة التي قدمت لها من أجل سلام حقيقي يضمن وجودها في المنطقة ولكن تغير الوضع الآن خاصة بعد أن اصبحت المواجهة أكثر شمولا مع النفوذ الأمريكي واسرائيل ومع النظام العربي المنهار. وقد حذر الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر في مقال له اسرائيل بأنها ترتكب أخطاء جسيمة من خلال عدوانها ولا يعتبر ذلك نقطة تحول في نظر الرئيس فحسب بل إن العالم الغربي بدأ يستشعر صحوة جديدة تكشف كثيرا من الذي حاولت اسرائيل إخفاءه عن أعين المجتمع الدولي.

وما نريده هو أن يبدأ العالم العربي مرحلة جديدة لا يستجدي فيها السلام مع اسرائيل بل يجعل المواجهة هي الخيار لحل جميع المشاكل العربية معها وهذه هي الرسالة التي يجب أن تفهمها النظم العربية. وهي التي يؤكدها انتصار لبنان في الحرب السادسة.

* كاتب من السودان

# الثقافة السياسية العربية الجديدة

د. علي محمد فخرو

■ ما بعد الملحمة المبهرة في لبنان سيتوجه العرب العاملون في حقول الفكر والسياسة نحو التفتيش عن ثقافة سياسية جديدة تأخذ بعين الإعتبار ما حدث في لبنان وما حدث من قبله في فلسطين والعراق. وفي اعتقادي ان تلك الثقافة ستحتاج إلى التعامل مع الأسئلة والإشكاليات التالية:

أولاً: هناك موضوع التعايش العربي والإسلامي مع الكيان السياسي ـ العسكري الصهيوني المتواجد في فلسطين. فالوحشية والهمجية التي استعملها الجيش الصهيوني في مواجهة المقاومتين الفلسطينية واللبنانية كانت دون المستوى البشري وأقرب إلى المستوى الحيواني الذي لا يرضى بأقل من الولوغ في دماء ضحيته. السؤال الذي سيطرح نفسه هو : هل بعد أن شاهد الناس دك المدن وقتل الأطفال والنساء والشيوخ وحرق الأرض وما عليها يستطيعون قبول الثقافة السياسية التي روجت منذ اتفاقية كامب ديفيد الأولى بالتعايش مع إسرائيل أم أنه آن الأوان للرجوع إلى المربع الأول القائل بدولة ديمقراطية يتعايش فيها العرب واليهود ولا تكون لها أية صلة بالإيديولوجية الصهيونية وأحلامها الاستيطانية والخرافية؟

ثانياً: هناك موضوع التعامل مع أمريكا، فهل بعد أن ساعدت هذه الدولة بصورة مباشرة وغير مباشرة على تدمير العراق والضفة الغربية من فلسطين ولبنان ومن قبلهم فعلت ما فعلت في السودان والصومال ومن بعدهم ما ستفعله بسورية يمكن تجنب التعامل معها كدولة عدوة للعرب تسعى إلى تدمير أرضهم وتهميش شعوبهم ونهب ثرواتهم وإخضاعهم للسكين الصهيونية؟ فالفرق كبير بين أن تختلف أمة مع أمة أخرى حول المصالح بين الحين والآخر وبين أن تقف أحدى الأمتين ضد الأخرى في كل الحقول وعلى كل المستويات عبر أكثر من ستة عقود دون أن تردعها أي أخلاقيات أو قيم أو مصالح.

ثالثاً: هناك موضوع النظام العربي الرسمي الذي تعامل ويتعامل مع أهوال ما يحدث في العراق وفلسطين ولبنان وغيرهم بعجز لم يسبق له مثيل. لقد عطل ذلك العجز النظام العربي الأمني القومي المشترك فانكشف الجميع أمام الإحتلال أو العدوان أو الهيمنة الكلية في السياسة والاقتصاد، فعاد الاستعمار بكل ألوانه إلى الأرض العربية. ولذا لم يكن مستغرباً أن لا تخرج مشاورات الجامعة العربية بأي قرار يساعد اللبنانيين في محنتهم والفلسطينيين في الطريق المسدود الذي وصلوا إليه.

ولقد أظهرت المظاهرات التي عمت بلدان الوطن العربي كله وجود فجوة كبيرة بين الشارع العربي وأنظمة الحكم تشير إلى انقسام مجتمعي كبير في المستقبل. وهو إنقسام إذا أضيف إليه عجز الأنظمة وفشلها أمام موت الأبرياء من العرب على يد الصهاينة والأمريكيين، سيحتاج إلى ثقافة سياسية جديدة تعالجه وتحل إشكاليته.

رابعاً: هناك أخيراً الموضوع الأزلي المسبب للمواضيع الثلاثة السابقة والمتمثل في تلك الحياة السياسية المجتمعية في كل بلاد العرب. لقد ظهر بوضوح ان المؤسسات السياسية المدنية التي بناها الشعب العربي عبر العقود السابقة مصابة بالشلل وقلة الفاعلية أمام كل مصيبة ألمت بأي قطر عربي. وهذا يعني أن تغيراً جذرياً في إيديولوجية الأحزاب العربية وجمعيات المجتمع المدني وفي مناهج عملها وأساليب ممارساتها يجب أن تحدث. وسيكون للأنموذج الساطع لما فعله حزب الله أثر كبير في ذلك التغيير. فلقد ظهر بما لا يقبل الشك ان حركة إسلامية سياسية قد استطاعت أن تجمع بين الأيديولوجية الإسلامية وبين الاستعمال الفائق للتكنولوجيا وللتنظيم الحديث فتحول أعضاؤها إلى بشر قادرين على التعامل مع تعقيدات العصر ومتطلباته دون أدنى تنازل عن عقيدتهم الدينية. وهو ما سيعني أن الإسلام سيكون جزءاً أساسياً من مكونات الفكر السياسي العربي القادم تحت أي مسمى يطرح نفسه. إن الجماهير العربية هي في وضع شعوري ونفسي لن يقبل بأقل من ذلك في المستقبل المنظور. ثم ان ذلك لن يتعارض مع الثوابت القومية في الوحدة ولا مع توجهات العصر في الديمقراطية وصعود العلوم والتكنولوجيا.

إذا لم تستطع الثقافة العربية السياسية الجديدة مواجهة تلك التحديات الأربعة التي كشفت عنها مآسي الوطن العربي خلال السنوات الثلاث الماضية، ووصلت إلى أعلى قممها في لبنان، فأن ذلك سيعني أن المفكرين والسياسيين العرب الحاليين قد أصبحوا عقيمين وبحاجة لأن يتنحوا إلى الأبد.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364